

## واقعية خطاب غير المسلمين في ضوء الهدى النبوي

بكر مصطفى بني أرشيد، علي طه محمد الكيلاني\*

### ملخص

تناولت هذه الدراسة طرق خطاب غير المسلمين، من خلال عرض نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين، وطرق مخاطبته لأهل الكتاب، ورسائله إلى الملوك، مع بيان اهتمام النبي ﷺ بالأولويات في الخطاب، وإبراز وسطية الخطاب الدعوي لغير المسلمين في ضوء السنة النبوية.

كما ركزت الدراسة على الإشارات العلمية في الحديث النبوي، وخاصة عند خطاب غير المسلمين؛ لإظهار مصداقية هذا الدين، وأنه جاء بوحى إلهي، وليس من صنع أحد.

**الكلمات الدالة:** الهدى النبوي، الوسطية، الخطاب النبوي.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من دعا بدعوتهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من واجب العلماء، والباحثين، والمتخصصين في علوم الشريعة أن يؤصلوا قواعد علمية رصينة، ينطلق منها الدعاة في هذا الزمان؛ ليخاطبوا الناس بطرق تتسق مع التقدم العلمي، وبتقنيات توصل المعلومة بسلاسة ويسر، دون تشدد؛ ليكون الخطاب واقعياً، يراعي تفاوت الناس، في عقولهم وثقافتهم، وقدراتهم الذهنية، مستنيرين في ذلك كله بدلالات الهدى النبوي، حيث خاطب النبي ﷺ الناس جميعاً، فجاءت ثمار دعوته يانعة حيث دخل الناس في دين الله أفواجا، وقد جاء هذا الجهد؛ لبيان ما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الدعوي في هذا الزمان، من حيث الواقعية في الطرح، والأسلوب، والوسائل، كل ذلك في ضوء هدى النبي ﷺ في دعوته للناس، فقد أرسله الله رحمة للعالمين، وفرض عليه بيان ما أنزل إلينا، فأوضح لنا كل الأمور المهمة، وخصّه بجوامع الكلم، فربما جمع أشنات الحكم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة، سائلين الله أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

أما عن أهمية الموضوع وتقسيم الدراسة، فهي كما يلي:

### أهمية البحث

إن حملة رسالة الإسلام ودعائه قديماً وحديثاً، يخاطبون الناس بأساليب متباينة، منها المصيب ومنها عكس ذلك. وتكمن أهمية هذا البحث في بيان واقعية الخطاب الدعوي لغير المسلمين في ضوء السنة النبوية، من حيث الواقعية في أساليب الخطاب، والواقعية في مراعاة الجمهور المُخاطب، والواقعية في المادة المستخدمة في الخطاب مع تفعيل فلسفة الأولويات، ومراعاة التدرج في الخطاب، كل ذلك في ضوء الهدى النبوي الذي خاطب أمجة مختلفة وعقولاً متفاوتة، وأفكاراً متباينة بأنواع مختلفة من الخطاب، ثلاثم واقع المُخاطب وبيئته وقدراته، مما كان له أبلغ الأثر في وصول الخطاب الإسلامي إلى مشارق الأرض ومغاربها.

### أهداف البحث

إبراز واقعية الخطاب النبوي في دعوة الناس، وتقييم سلوكياتهم.

بيان واقعية الخطاب في دعوة الناس، وإبراز تفاعل الداعية مع العصر ومعطياته في ضوء الهدى النبوي.

بيان أهمية معرفة روح النص وأثر ذلك على المدعويين.

تأكيد صلاحية الخطاب النبوي لكل زمان ومكان.

### مشكلة البحث

نعرض في البحث واقعية خطاب غير المسلمين في هذا العصر، حيث نجد كثيراً من المعضلات في الوصول إلى

\* كلية الشريعة، جامعة آل البيت. تاريخ استلام البحث 2016/1/7، وتاريخ قبوله 2016/5/25.

المطلب الثالث: التركيز على الإشارات العلمية في الحديث

النبوي عند خطاب غير المسلمين.

الخاتمة: وتتضمن النتائج التي خلص إليها البحث.

### المبحث الأول

خطاب غير المسلمين في ضوء الهدي النبوي

المطلب الأول: نماذج من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم

للمشركين

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ بتبليغ الدين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية 67]، فامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه تعالى فبلغ هذه الرسالة لكل الناس، حيث تعرض للناس في مواسم الحج يبلغهم رسالة ربهم، وأرسل رسله إلى الملوك والزعماء في عصره يدعوهم إلى الإسلام، وبعث علي ﷺ لفتح خيبر، أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ لمسلم- من حديث سهل بن سعد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ..." فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَيَّ رِسَالَتِي، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ" (1) (2).

وقد جاء في أكثر من نص قول النبي ﷺ (ألا هل بلغت، فيقولون: نعم، فيقول: اللهم فاشهد)، حيث خطب يوم النحر كما أخرج البخاري ومسلم بسنديهما من حديث أبي بكر- واللفظ للبخاري- قَالَ: حَظَبْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟"، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟"، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ "أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟"، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ "أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟" قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" (3). كما وقالها يوم عرفة فقد أخرج مسلم بسنده من حديث جابر بن عبد الله ﷺ "... وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟" قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدْبَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ

عقول الناس وقلوبهم من قبل كثير من الدعاة، فكيف يمكن التخلص من هذه المشكلات؟ وكيف يمكن استخدام الوسائل الحديثة، من إعلام، واتصال في إيصال المعلومات للمخاطبين وعدم الجروح بهم إلى الخرافات، والأساطير والخيالات، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم؟ كل ذلك في ضوء الهدي النبوي وواقعيته في الخطاب.

### الدراسات السابقة

لم نجد شيئاً كُتِبَ في هذا الموضوع في ضوء إطلاعنا إلا كتاب (مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة) للدكتور فضل إلهي، وقد جاء هذا الكتاب محتوياً على نصوص القرآن والسنة وسير الصالحين، وجعل ذلك تحت عناوين مختلفة، ومطالب متنوعة، وتكمن المشكلة في هذا الكتاب في عدم ربطه للنصوص التي أوردها مع الخطاب الدعوي في هذا العصر.

وقد جاء بحثنا متخصصاً في الهدي النبوي مع القيام بعملية ربط الخطاب الدعوي مع الهدي النبوي، للوصول للنتائج المرجوة من الخطاب.

### منهجية الدراسة

المنهج الاستقرائي الجزئي: من خلال جمع الكثير من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وفق ما تسمح به حيثيات البحث.

المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص ودراسة أسانيد الأحاديث والحكم عليها بإستثناء الأحاديث الصحيحة.

المنهج الاستنباطي: باستنباط الأحكام والفوائد المرجوة في هذا الموضوع.

### خطة البحث

فُسِّمَ البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي: المبحث الأول: طرق خطاب غير المسلمين، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من خطاب النبي ﷺ للمشركين.

المطلب الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك.

المطلب الثالث: الطرق الملائمة لمخاطبة أهل الكتاب.

المبحث الثاني: التدرج في عرض الخطاب على غير المسلمين، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فلسفة الأولويات وأهميتها في الخطاب.

المطلب الثاني: إبراز وسطية الخطاب الدعوي في ضوء الهدي النبوي.

"اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...<sup>(4)</sup>، فما ترك عليه الصلاة والسلام مجالاً ومكاناً إلا وبلغ فيه الدعوة، كما حث أتباعه على القيام بهذا الأمر، أخرج مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً"<sup>(5)</sup>.

وإننا نلاحظ في هذه الأيام التقصير البالغ من المسلمين في حمل هذه الرسالة وإبصالها للغير، وسنحاول في هذا المطلب إلقاء الضوء على بعض الوسائل والطرق في خطاب غير المسلمين، مع إبراز وسطية الخطاب في ضوء الهدى النبوي، والتركيز على الإشارات العلمية في الأحاديث، حيث إن العلم أصبح اللغة الدارجة في هذا العصر، وخاصة عند الملاحدة واللاذنيين.

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكْتُ دَوْسٌ، قَالَ: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَبْ بِهِمْ)<sup>(6)</sup>، في هذا الحديث توجيه عظيم للصحابة ومن جاء بعدهم برحمة الناس والحرص على هدايتهم وصلاتهم، ولذلك يجب أن يكون هدف الداعية الأول الأخذ بأيدي الناس والرفق بهم، والحرص على عدم هلاكهم، فعندما قال الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه عن قبيلة دوس: "ادع الله عليهم"، ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا لهم لا عليهم، وفي هذا الدعاء رسالة واضحة للبشرية جمعاء في كل العصور أن هذا الدين دين الرحمة، وليس دين الشدة والعنف.

وهذا التوجيه النبوي يجب أن يتخذ الدعاء إلى الله شعاراً لهم، ومنهجاً يسرون عليه عند دعوتهم للناس، وليحذر الداعية من مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه؛ لأن في ذلك هلاكه قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير: "أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين- واللفظ للبخاري- من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ"<sup>(7)</sup>، أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنياً وظاهراً (تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ) أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، (أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: في الدنيا، بقتل أو حد أو حبس، أو نحو ذلك"<sup>(8)</sup>.

إننا في دعوتنا في هذا الدين يجب أن نمثل شخصية هذا النبي العظيم، هذه الشخصية التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء، يقول الدكتور معين القدومي: "قبل سنوات قليلة نشر الأستاذ هارت كتابه المثير "أعظم مئة في التاريخ" راح فيه- وهو العالم الذي نال أكثر من درجة دكتوراه في تخصصات مختلفة- يرتب أعظم مئة عند جميع الأمم، أثروا في التاريخ البشري على اختلاف انجازاتهم، فكانت المفاجئة أن هذا العالم العلماني المحايد، قد وضع الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في أول درجة من درجات سلم العظماء، وقد سوغ تسنيمه هذه الرتبة المتفوقة أنه استطاع وما يزال يشد الناس، ويغير مسارهم على نحو مذهل هائل، وهو اليتيم الفقير، الذي كان يعيش في بلاد عزلاء على هامش الحضارة المتقدمة للروم والفرس في تلك الأيام"<sup>(9)</sup>. فلا بد للدعاة في هذا العصر عند دعوتهم للمشركين من الحكمة والموعظة الحسنة التي مثلتها شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للمشركين.

أخرج الإمام البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]. وَرَهْطُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى صَعَدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: (يَا صِبَا حَاهُ). فَقَالُوا: مَنْ هَذَا، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي). قَالُوا: مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: (فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ). قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَعَلْنَا إِلَّا لَهَذَا، ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1]<sup>(10)</sup>.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] "دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: يا بني كعب بن لؤي، يا بني مرة بن كعب، يا بني عبد شمس، ويا بني عبد مناف، ويا بني هاشم، ويا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، ويا فاطمة أنقذي نفسك من النار، إني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سألها ببلالها"<sup>(11)</sup>.

دلالة الحديثين: يقول صاحب كتاب الرحيق المختوم: "هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ؛ فقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلوات فيه، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الأندار الآتي من عند الله"<sup>(12)</sup>. هكذا ينوع النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه للمشركين، فتارة يقرأ عليهم القرآن، وتارة يدعو لهم بالهداية، وتارة يجمعهم ويثبت لهم بالحجة والبرهان صدق دعوته؛ كما في هذا الحديث الذي أوردناه؛ فقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم الحجة بقوله:

ينقل عكاشة عبد المنان عن الأستاذ أبو الحسن الندوي في معرض تعليقه على هذه الآية: "وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة في معرفة طبائع الأمم والإطلاع على مزية هذه الأمة من بين شعوب العالم، وأثارت علماً دقيماً، وكنزاً مضموراً، وأحدثت إنقلاباً في النظرة إلى الأمة، ومركزها وقيمتها، وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية، أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة ولا من فقايع الماء التي تظهر وتختفي، وتتكون وتتدحر، إنه ليس خروجاً كخروج سائر الأمم، إنما هو - إخراج تسيطر عليه الحكمة الإنسانية، وتمده إرادة الله القاهرة" (16).

إن هذه المزية لهذه الأمة تحتم عليها أن تفقه جيداً المراد من رسالة هذا الدين، الحريص على هداية الناس، وكيفية خطاب النبي ﷺ للمشركين، وحرصه على استفادهم من النار ومن غضب الجبار بأسلوب الرحمة والرفق، لا بالعنف والقتل؛ كما دل عليها حديث أسامة الذي ذكرناه.

#### المطلب الثاني: رسائل النبي ﷺ إلى الملوك

لم تقتصر دعوة النبي ﷺ إلى الإسلام على عامة الناس، ولكنها امتدت إلى الطبقة العليا وهم الملوك؛ وذلك لأنه لا يخاطب فئة محددة، وإنما يريد لجميع الناس الهداية والخروج من الظلمات إلى النور؛ كما يريد لهذا الدين أن يكون ظاهراً على الدين كله كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُحِبُّكُمْ مِنْ عَدَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 9].

وفي هذا المطلب نذكر بعض نماذج رسائل النبي ﷺ إلى الملوك:

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما - واللفظ للبخاري - من حديث ابن عباس ؓ: ... بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِن عَلَيَّ إِثْمَ الْأَرِيْسِيِّينَ (17)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64] (18)، فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُؤَسِّسُ النَّبِيُّ ﷺ قَوَاعِدَ رَاسِخَةً فِي مَخَاطِبَةِ الْمُلُوكِ، وَدَعْوَتَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ:

القاعدة الأولى: أن النبي ﷺ كان ينزل الناس منازلهم، ولذلك جاء خطابه لهرقل بقوله: "إلى هرقل عظيم الروم"، يقول النووي: "ولم يقل هرقل فقط، بل أتى بنوع من الملاحظة، فقال: عظيم الروم، أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله بالإتنة

"أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا" إِذَا قَوْلُهُمْ: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، هُوَ إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ كَاذِبًا يَوْمًا فِي حَيَاتِهِ عَلَى الْبَشَرِ، فَكَيْفَ يَكْذِبُ فِي نَقْلِهِ عَنِ رَبِّ الْبَشَرِ؟.

وهذه الأساليب من قبل النبي ﷺ في خطاب المشركين، هي دروس عظيمة لمن يحمل هم رفع كلمة التوحيد. ومن أعظم هذه الدروس أن يتعلم من انشغل بهم الدعوة كيفية إقامة الحجة والبرهان على صدق دعوته عند عرض الإسلام؛ كما عليه أن يحرص على عرضه بصورة حضارية تتناسب مع عظمة هذا الدين وشموليته، وخاصة في هذا الزمان الذي أصبح الإسلام مستهدفاً، والأمة ممزقة. يقول محمد جميل زينو: "إن المسؤولية ضخمة وإن الأمانة جسيمة، فالأمة ممزقة، وثرواتها ضائعة، وممتلكاتها مغصوبة، وأغلب أفرادها جهلة بحق دينهم، وكثير من شعوبها يلاقون صنوف الأذى والعذاب، والملتزمون بشيء من شريعتها مستضعفون مختلفون" (13).

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما - واللفظ للبخاري - من حديث أسامة بن زيد ؓ، يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَرَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ قَطْعَنَهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَسَامَةَ، أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّدًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا، حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ (14). يُؤَخِّذُ مِنَ الْحَدِيثِ حَرَمَةَ الدَّمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ لَيْسَ هَدَفَهُ قَتْلُ النَّاسِ، بَلْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَإِن لَمْ يَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَقَاتَلُوهُ يِقَاتِلُوا التَّزَامًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، فَإِن دَخَلُوا فِي الدِّينِ وَلَوْ ظَاهِرًا امْتَنَعَ الْمُسْلِمُ عَنْ قِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّ قِتَالَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَكُونُ عَدْوَانًا وَقَدْ نَهَى الْقُرْآنُ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: (حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ) "أَيُّ أَنَّ إِسْلَامِي كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، فَتَمَنَيْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَوَّلَ دَخُولِهِ فِي الْإِسْلَامِ لِيَأْمَنَ مِنْ جَرِيرَةِ تِلْكَ الْفِعْلَةِ، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّهُ تَمَنَى أَنْ لَا يَكُونَ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِنْكَارِ الشَّدِيدِ لِتِلْكَ الْفِعْلَةِ" (15).

إن من أعظم ميزات هذه الأمة التي وصفها بها القرآن الكريم، أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، كما قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].

ما لدى الفرس والروم وغيرهم، وإلا فكيف يخاطر بذلك؟ ويظهر هذا الأمر من محتوى الرسائل، حيث يقول فيها: "إن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر". علماً بأن الدعوة إلى الله تعالى بطريق الرسائل والوفادات وإقام الحجج والبراهين من أعمال الأنبياء، وليس من قبيل التحدي العسكري أو السياسي، كما دعى موسى عليه السلام فرعون إلى عبادة الله وحده.

وقد من الله على بعض الملوك والأمراء الذين أرسل إليهم، فدخل بعضهم في الإسلام، وأسلم معهم قومهم، ورد بعضهم رداً جميلاً، فأكرموا السفراء، وأرسلوا ببعض الهدايا<sup>(24)</sup>.

قال ابن القيم: "كتب ﷺ إلى كسرى زعيم الفرس، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية، كما كتب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وكذلك كتب إلى جيفر وعبد ملوك عُمان، وكتب إلى هود بن علي صاحب اليمامة، وكذلك إلى الحارث بن شمر الغساني في غوة دمشق"<sup>(25)</sup>.

لا شك أن الفائدة العظمى تتمثل في قوة هذا الدين الذي يتكلم الدعاة باسمه، ولو أحسنوا فهم هذا الدين وأحسنوا عرضه لوصلت دعوتهم إلى أعتى ملوك الأرض، وإلى الناس كافة؛ كما أن الداعية يرى تحقق قوله تعالى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾: [طه: 44] في خطاب النبي ﷺ للملوك، وإن من أعظم الفوائد كذلك فهم قول الله عز وجل الوارد في سورة مريم: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْتِنَاهُ الْأُحْكَمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]، وهو ما كان ينطلق منه النبي ﷺ في رسائله حيث يخاطب الملوك بمنتهى القوة دون خوف أو تردد، لاعتقاده اعتقاداً جازماً بوجود المعية الإلهية معه مستحضراً قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: من الآية 40] وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62].

#### المطلب الثالث: الطرق الملائمة لدعوة أهل الكتاب

طرق دعوة أهل الكتاب			
1- بيان اتفاق انبيائهم في أصول العقائد	2- الترتيب والتنظيم والتسلسل في عرض الأفكار المطروحة عليهم	3- إقامة الحجة والبرهان عند دعوتهم بالنص والعقل	4- حسن الرد على شبهاتهم بطريقة علمية وبأسلوب حسن

لو نظرنا في القرآن العظيم لوجدنا النداء بصيغة (يا أهل الكتاب) يتعدد في ثناياه، وفي مواضع مختلفة مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

القول لمن يدعى إلى الإسلام، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، وقال تعالى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾: [طه: 44] وغيرها<sup>(19)</sup> فهذا يدل على وجوب الملاطفة، واستخدام الحكمة في دعوة الملوك.

القاعدة الثانية: تقديم الترغيب على التهيب وعظم الأجر في حالة استجابة الملوك لدعوة الإسلام؛ كما قال النبي ﷺ له رقل: "أسلم تسلم يؤتلك الله أجره مرتين".

القاعدة الثالثة: التركيز على الهدف؛ ولذلك حرص النبي ﷺ على هداية الجميع إلى الحق، ونقلهم من الشر إلى الخير، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، وهذا يدل على كمال شريعته، جاء في كتاب مختصر كتاب إظهار الحق "إن شريعته ﷺ اشتملت على الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم بأكمل وجه، ومن نظر إلى هذا الكمال والشمول في شريعته ﷺ علم أنها من الوضع الإلهي والوحي السماوي، وأن المبعوث بها نبي مرسل من الله تعالى، ولا منشأ للاعتراض عليها إلا حب الفساد الصرف والإعتساف"<sup>(20)</sup>.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، من حديث أنس ﷺ "أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ. (21) وكسرى لقب لكل ملك من ملوك الفرس، وقيصر لقب من ملك الروم، والنجاشي لكل من ملك الحبشة، وخاقان لكل من ملك الترك، وفرعون لكل من ملك القبط، والعزير لكل من ملك مصر، وتبع لكل من ملك حمير، وفي هذا الحديث جواز مكاتبة الكفار ودعاؤهم إلى الإسلام والعمل بالكتاب ويخبر الواحد والله أعلم<sup>(22)</sup>.

جاء في كتاب عالمية الإسلام "وقد حرص ﷺ كل الحرص على دخول الناس في دين الله، فما ترك وسيلة يبلغ بها رسالة ربه عز وجل إلى القريب والبعيد إلا سلكها، وكانت رسائله إلى الملوك والأمراء والعظماء في عصره هي الإنطلاقة الأولى للعبور بالدين الإسلامي من جزيرة العرب إلى آفاق العالم المعروفة آنذاك، عن أنس ﷺ أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"<sup>(23)</sup>. وكان لتلك الرسائل دور كبير في تعميم الإسلام ونشره وتبليغه للناس، وتذكيرهم بما سبق التمهيد له والتبشير به على لسان الأنبياء، ودعوتهم إلى الإيمان به. وهذا العمل يدل على صدقه وثقته بنصر ربه، وقد كان أتباعه في ذلك الوقت قليلين مستضعفين، فضلاً عن أن يكون لديه من العدد والعدة

فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: 89﴾، جاء في كتاب "الدر المنثور" في تفسير هذه الآية الكريمة. "كتاب من عند الله: هو القرآن، مصدقاً لما معه: التوراة والإنجيل" (28)، فأهل الكتاب موجود عندهم في كتبهم ما سيأتي به الرسول الكريم ﷺ، ولكن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً وحسداً.

من خلال هذا الحديث والشرح له نستنتج طريقة من طرق النبي ﷺ في مخاطبة أهل الكتاب، وهي البدء معهم بالأهم ثم المهم بطريقة منظمة ومتسلسلة، تتوافق ودرجات الانحراف عندهم، فنبداً معهم بالتوحيد ثم سائر العبادات كما رتب النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاد، وكذلك فإن العبادات لا تستقيم والشرك موجود.

أخرج الأمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما - واللفظ للبخاري - من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحَكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67] (29)، في هذا الحديث يبين لنا النبي ﷺ طريقة جديدة من طرق مخاطبة أهل الكتاب وهي تصديقهم فيما يأتون به من الحق، وقد جاء هذا العالم من علماء اليهود ليعرض على النبي ﷺ حقائق موجودة عندهم في كتبهم، تتعلق بخلق السماوات والأرض وغيرها من المخلوقات؛ فلما وجد النبي ﷺ أن ما جاء به الحبر صحيحاً، أقره على ذلك، وضحك حتى بدت نواجذه.

إن تصديق أهل الكتاب في الصواب الذي يتفق مع دين الإسلام يُعدّ طريقة ناجحة في الوصول إلى نقاط الإتيان معهم، وبالتالي استمالتهم إلى هذا الدين العظيم؛ لأن مبادئ الحوار الناجحة أن تبتدئ مع محاورك بالأمر التي تلتقون فيها.

يقول الدكتور فضل إلهي: "ومما يدل على ضرورة التعرف على أحوال المدعوين وأهمية مراعاتها أثناء الدعوة أنه سبحانه وتعالى أمر نبيه الكريم ﷺ بالقيام بالدعوة بعدة طرق". فعلى سبيل المثال جاء الأمر الإلهي القيام بالدعوة بثلاث طرق في قوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]. ففي الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه ﷺ القيام بالدعوة بثلاث طرق، وهي: الحكمة، الموعظة الحسنة، المجادلة بالتي هي أحسن، وتستخدم مع كل صنف طريقة تناسبه وتلائمه (30).

إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: 64﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، وهذا التخصيص في الخطاب يدل على أن مخاطبة أهل الكتاب تختلف عن مخاطبة غيرهم؛ لوجود العلم بالكتب السماوية عندهم، وسنحاول في هذا المطلب أن نعرض بعض طرق النبي ﷺ في مخاطبته لأهل الكتاب، وكيفية الاستفادة منها في زمننا الحاضر.

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما - واللفظ للبخاري - من حديث ابن عباس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» (26)، في هذا الحديث يذكر النبي ﷺ رسوله إلى أهل اليمن، وهو معاذ بن جبل بأنه يقدم على قوم أهل كتاب، وفي هذا التذكير إشارة إلى أن مخاطبة أهل الكتاب لها أسلوب مختلف عن غيرها؛ للعلم الموجود عندهم سابقاً، والكتب التي يتدارسونها فيما بينهم، وهذا ما يجب أن ينتبه له الداعية عند مخاطبته لأهل الكتاب، ونلاحظ بأن النبي ﷺ رتب لمعاذ الأمور التي يدعوهم إليها، فابتدأ بأمرهم بعبادة الله والمقصود بها توحيد الله، ثم الصلاة ثم الزكاة؛ وذلك لأن أهل الكتاب حصل عندهم التثليث في العقيدة، فأراد أن يبتدئ بالأساس وهو التوحيد وتطهيره من هذا الاعتقاد، يقول الدكتور البوطي في معرض الحديث عن أهمية التوحيد "والعقيدة الصحيحة التي يهدي إليها العقل والعلم، الإيمان بوجود الله ووحديته، وأن لا سلطان حقيقياً في الكون غير سلطانه، ولا قوة قاهرة غير قوته، ولا مُلك غير مُلكه، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز وجل يمنحه حيث يشاء ويسلبه عندما يشاء، وأنه الرقيب على عباده كلهم، وسبيعتهم من بعد الموت فيحاسب كلاً على ما كسب أو إكتسب... إلى أن يقول: فمن هنا كانت حاجة الإنسانية كلها إلى أن تدين لبارئها عز وجل بالاعتقاد الجازم بوجوده ووحديته" (27).

وقد يقول قائل: إن رسالة الإسلام للناس كافة تدعوهم أول ما تدعوهم إلى توحيد الله ونبذ الشرك، فلماذا خص النبي ﷺ أهل الكتاب في هذا الحديث؟ والجواب: هو في قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ

إن هذا يبين لنا أهمية أن يتصدى لمخاطبة الكتابيين وشبهاتهم أهل الاختصاص والباع الطويل في ميدان الدعوة؛ ليحسنوا مجادلتهم ودعوتهم إلى دين الإسلام.

أخرج الامام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "كان غلامً يهوديً يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمريض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعبده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار"<sup>(34)</sup>، إن في عيادة النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الغلام اليهودي نموذج رائع يجب أن يحتذيه المسلمون في هذا الزمان، وخاصة الدعوة منهم، ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارته لهذا الغلام أن يدعو إلى الإسلام، فكان لهذه الزيارة الكثير في نفس والد الغلام، الذي لم يتردد أن يقول لابنه: "أطع ابا القاسم"، فلقد رأى ذلك اليهودي في خلق النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بابنه ما دعاه أن دفع ابنه ليستجيب لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكم حري بنا أن نقفدي به صلى الله عليه وسلم، في مثل هذه الأخلاق التي دعت الكثيرين أن يدخلوا في هذا الدين أفواجاً، فينبغي علينا التواصل مع أهل الكتاب وزيارتهم، ومساعدتهم، وإظهار البشاشة والبشر في وجوههم، لترغيبهم في هذا الدين، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا وَالْهَيْكَلُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

## المبحث الثاني

### التدرج في عرض مادة الخطاب

#### المطلب الأول: فلسفة الأولويات وأهميتها في الخطاب

لقد اقتضت الضرورة الدعوية ومنذ صدر الإسلام، أن تكون الدعوة على مراحل، فابتدأت سراً، ثم جهراً، وكانت في بداياتها مقتصرة على أفراد محددين، ثم انتقلت لتكون دعوة عامة، وكان من أولويات الدعوة في بدايتها التركيز على بناء العقيدة في النفوس، ثم انتقلت إلى مرحلة العمل والتكاليف الشرعية، ونلاحظ أن هذه المنهجية تستمد أصولها من كيفية نزول القرآن الكريم، الذي نزل على مراحل ولم ينزل جملة واحدة، وقد رد القرآن الكريم على الشبهة التي أثارها الكفار حول نزول القرآن منجماً قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: 32]، كل هذا يشير إلى أهمية مراعاة الأولويات في العمل الدعوي، وخاصة عند دعوة غير المسلمين.

لا بد لنا في بداية هذا المطلب من الوقوف على تعريف فقه الأولويات؛ لنستطيع الولوج في أعماق هذا الموضوع المهم.

قال الإمام ابن القيم في تفسير الآية: "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يبابه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، والمعاند الجاحد يجادل بالنبي هي أحسن"، وورد الأمر الرباني باستخدام الشدة والغلظة مع الكفار والمنافقين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: 73]<sup>(31)</sup>.

أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم، في حرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنقر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه شيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنّه، فقال رجل منهم، فقال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحي إليه، فقلت: فلما أنجلي عنه، قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾. [الاسراء: 85]<sup>(32)</sup>، في هذا الحديث يسأل نفر من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح، وهذا السؤال يراد به إثارة الشبهات، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم معهم غاية الحكمة في الخطاب؛ كما جاء في الحديث فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه جواب وقتئذ، ولكنه انتظر نزول الوحي ليجيب اليهود عن سؤالهم الذي لم يأتي من فراغ بل هو مبني على علم عندهم وفي كتبهم؛ ولذلك قال قائلهم: "لا تسألوه لا يجيء فيه شيء تكرهونه"، فعلى الدعوة أن تستخدموا الحكمة والحكمة والعلم في خطابهم لأهل الكتاب، فإذا تعرض الداعية لإثارة شبهة حول نص من القرآن أو السنة فعليه أن يبني أجوبته على نصوص الوحيين وبتأني وعمق في الطرح؛ كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

إننا نجد في هذا الزمان كثيراً من الجهلاء ممن يتصدّر للدعوة يتسرع في إجاباته، ويتسابق في إصدار الفتاوى، ودون إدراك لخفايا كثير من الشبهات التي تثار بين الفينة والأخرى.

يقول الدكتور والمفكر الفرنسي موريس بوكاي: "إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية، ولا يدعشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تنقيف الأجيال الكثيرة، فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإنسان. ويقول أيضاً: إن كثيراً من النصارى الذين تربوا في ظل روح عدائية صريحة للمسلمين، هم مبدئياً أعداء بكل تأمل في الإسلام، بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة، صدرت ضد الإسلام، ولذلك فإنهم يظنون في جهالة حقيقة الإسلام"<sup>(33)</sup>.

وَعَلَّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ<sup>(43)</sup>. يبتدأ النبي ﷺ في هذا الحديث بالأهم ثم المهم بقوله: "علموهم، وصلوا" فابتدأ بالعلم قبل الصلاة، وهذا متوافق مع قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِزْ لِدُنْبِكَ﴾ [محمد: من الآية 19]، فقد سبحانه العلم على أساس الإسلام وهو النطق بالشهادتين؛ لأن الشهادتين تحتاج إلى علم بمضمونهما قبل النطق بها؛ ولأن الجاهل يفسد في عبادته أكثر مما يصلح، ولذلك نجد البخاري يضع باباً خاصاً بعنوان "باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِزْ لِدُنْبِكَ﴾ [محمد: من الآية 19]، فبدأ بالعلم<sup>(44)</sup>.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده- واللفظ له- وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي مسعود الأنصاري، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَوْمَ الْقَوْمِ أَفْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْفِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يُؤْمِنَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ"<sup>(45)</sup>. في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يقدم الأعم بكتاب الله في إمامة الصلاة، ثم الأعم بالسنة إن تساوا في القراءة والعلم بكتاب الله، ثم الأقدم هجرة إن كانوا في السنة سواء، ثم الأقدم سناً إن كانوا في الهجرة سواء، وهذا دليل واضح على مراعاة النبي ﷺ لفقهاء الأولويات، سواء في الأمور التعبديّة أو الفكرية وغيرها، يقول الدكتور العلواني حول قضية مراعاة الأولويات في الأمور الفكرية أو غيرها: "إنه ما من سبيل للخروج من الخلل الفكري الذي أصاب العقل المسلم، والأزمة الأخلاقية التي يعاني منها السلوك المسلم، إلا بمعالجة جذور الأزمة الفكرية، وإصلاح مناهج التفكير، فلا بد من إعادة الصياغة الفكرية للعقول، وإعادة الترتيب المفقود للأولويات وتربية الأجيال المسلمة على ذلك، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه الصدر الأول من أسلافنا من تمسك بكتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ"<sup>(46)</sup>.

يقول محمد الوكيل: 'بناءً على المحدد الظرفي الواقعي فإن هناك عدة أعمال تعتبر من فروض عصرنا ومن أولوياته، يجب أن تولى العناية وتقدم على غيرها منها: العناية بفقهاء المعاملات، السعي نحو الاتفاق والوحدة، أسلمة العلم والتعليم، غرس التربية الدينية والأخلاقية"<sup>(47)</sup>.

أخرج البخاري بسنده من حديث البراء، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَتَنْحَرُ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا"<sup>(48)</sup>. فقدّم حق الله أولاً، ثم الذبح الذي فيه فائدة للناس، ويتوافق مع القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾

جاء في كتاب فقه الأولويات: "تعريف الفقه: كلمة الفقه كما هو معروف يقصد بها العلم بالشيء والفهم له. يقال: فقه الشيء أو الكلام أي فهمه فهي في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح: "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهاً؛ لأنه لا يخفى عليه شيء"<sup>(35)</sup>.

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: "إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ"<sup>(36)</sup>. إن هذا الحديث هو منهج التربوي خطه النبي ﷺ لأصحابه، مستمداً ذلك من المنهج القرآني؛ كما ذكرنا في مقدمة المطلب أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، إنما نزل منجماً، يتدرج في الرقي بالمجتمع، وفي اقتلاع الفساد الاجتماعي المتجذر شيئاً فشيئاً، وهكذا بدأ بأحكام العقيدة قبل أحكام الشريعة، ونلاحظ أن النبي ﷺ في هذا الحديث ابتدأ لمعاذ بالعقيدة قبل الشريعة، فأمره بالتوحيد ثم الصلاة، مقدماً في كل هذا الأهم على المهم<sup>(37)</sup>.

وأخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث أنس بن مالك رضي الله عن النبي ﷺ قال: "إِذَا وُضِعَ الْعِشَاءُ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَاذْبَعُوا بِالْعِشَاءِ"<sup>(38)</sup>، كما وأخرجه من حديث أنس الترمذي<sup>(39)</sup> والنسائي<sup>(40)</sup> وابن ماجه<sup>(41)</sup>.

إن هذا التوجّه النبوي يدل على فقه الأولويات الذي أمر به النبي ﷺ، سواء أكان بلسان حاله أم بلسان مقاله، فالنبي ﷺ يريد من المصلي أن يتفرغ كلياً للعبادة، ولا يكون ذهنه منشغل بالطعام أو غيره، قال النووي في شرح هذا الحديث: "في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكرهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع"<sup>(42)</sup>.

وأخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث مالك بن الحويرث، أَنِّيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَجِيماً رَفِيفًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهْلِيْنَا، قَالَ: "ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ،



وأمة وسطاً: أي عدولاً<sup>(51)</sup>.

ونلاحظ أن الآية جاءت في وسط سورة البقرة تماماً، إذ إن عدد آيات سورة البقرة مئتان وست وثمانون آية، وجاءت آية الوسطية برقم مئة وثلاث وأربعون ليتوافق المعنى مع رقم الآية مما يدل على تحقق الوسطية لفظاً ورقماً ومعنى، وهي أفضل الوسطية وخيرها، جاء في كتاب: التبيان "في معنى الوسط: وسطاً: أي عدلاً خياراً بلغة قريش، وقال أبو عبيدة: الوسط: الخيار من واسطة العقد"<sup>(52)</sup>، وسنبين في هذا المطلب بعض الأحاديث التي تدل على وسطية هذا الدين، ووجوب إنتهاج الدعا للوسطية في خطابهم سيراً على خطى النصوص القرآنية والنبوية.

أخرج البخاري بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ"<sup>(53)</sup>، والمعنى أن الإنسان إذا كلف نفسه فوق طاقته غلبه الدين، ورده إلى اليسر والاعتدال.

وأخرج البخاري بسنده من حديث أس بن مالك رضي الله عنه، قال: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوْهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَدْ غَفَرَ لَهٗ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأُرْفِدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"<sup>(54)</sup>، فهذا الحديث يبين بأنه لا يجوز الإضرار بالنفس وكذلك بالمجتمع، وأن هذه الملة مبنية شريعته على الاقتصاد والتيسير والتسهيل، وتتجلى عظمة هذا الدين في المن على الأسرى بلا مقابل، حتى مع أشدهم كيداً وحرماً، وعداوة للإسلام والمسلمين، فقد عاملهم النبي صلى الله عليه وسلم معاملة طيبة قائمة على الوسطية أثرت فيهم إيجاباً، فدخلوا في دين الله طائعين ومختارين، أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاعَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقَلَّنِي تَقَلُّ دَا دِمٍ، وَإِنْ تَنَعَّمْ تَنَعَّمْ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتِ، فَتَرَكْتُ حَتَّى كَانَ الْعَدُوُّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تَنَعَّمْ تَنَعَّمْ عَلَيَّ شَاكِرٍ، فَتَرَكْتُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدُوِّ، فَقَالَ: "مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ:

[الكوثر: 1-2]، قال ابن حجر: "إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي" إشعاراً بأن الصلاة ذلك اليوم هي الأمر المهم، وأن ما سواها من الخطبة والنحو والذكر وغير ذلك من أعمال البر يوم النحر فبطريق التبع، وهذا القدر مشترك بين العيدين<sup>(49)</sup>. كما جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا" قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ" قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَرَدُّنَهُ لَرَادَنِي<sup>(50)</sup>. فهذا الحديث أيضاً قدم حق الله أولاً، ثم حق الوالدين، ثم حق المسلمين بالدفاع عنهم من خلال الجهاد، فترتيب الأولويات في هذا الحديث وغيره الكثير لا يكاد ينقضي.

بعد هذا العرض لبعض الأحاديث التي تعنى بفقهِ الأولويات فإننا نخلص إلى النقاط التالية:

قواعد فقه الأولويات		
1- معرفة الأهم فالهم وعرض الإسلام على أساس ذلك	2- تصدير العلماء العارفين بفقهِ الأولويات لميدان الدعوة وخاصة لغير المسلمين	3- الإحاطة بمستجدات هذا العصر وترتيب الأولويات على حسب ذلك.

### المطلب الثاني: إبراز وسطية الخطاب الدعوي في ضوء الهدي النبوي

إن إبراز وسطية الخطاب الدعوي تتبع من الفهم العميق للنصوص التي تدل على هذه الوسطية، من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: من الآية 143] يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "يعني جل ثناؤه بقوله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)، كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل كذلك خصصناكم فضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً. وقد بينا أن "الأمة"، وهي القرن من الناس والصنف منهم وغيرهم.

وأما "الوسط"، فإنه في كلام العرب الخيار. يقال منه: "فلان وسط الحسب في قومه"، أي متوسط الحسب، إذا أردوا بذلك الرفع في حسبه، و"هو وسط في قومه وواسط"، والمعنى أن الأمة الإسلامية أمة متوسطة، قال الطبري: أرى أن الله تعالى ذكره- إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، ولكنهم أهل توسط،

أَمْتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ التَّمَانِيَةِ شَاءَ<sup>(58)</sup>، كما أخرج مسلم بسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ! قَالَ: لَيْتَكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدِيكَ، قَالَ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا فَيَسْتَبْشِرُوا، قَالَ: "إِذَا يَتَكَلَّمُوا"، فَأُخْبِرُ بِهَا مُعَاذُ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا<sup>(59)</sup>، فهذه الأحاديث توضح وسطية الإسلام، ومقاصد الشريعة وأن هذا الدين يسر، من عمل فيه بالقليل من العمل فاز بمريضة الله.

ولو أبرزت أمثال هذه التعاليم وشرحت للناس لرغبوا في أن يتمسكوا فيما أمرهم به القرآن الكريم والسنة المطهرة، يقول الدكتور محمد عمارة عن الوسطية الإسلامية: "هي التي برأت من الغلو والإغراق في المادية أو في الروحانية، وإذا كانت المدنية الأوروبية- كما يقول الامام محمد عبده- هي مدينة الملك والسلطان مدينة الذهب والفضة، مدينة الفخخة والبهرج، مدينة الختل والنفاق، وحاكمها الأعلى هو الجنيه عند قوم، والليرة عند قوم آخرين، ولا دخل للإنجيل في شيء من ذلك، فلقد ظهر الإسلام، لا روحياً مجرداً ولا جسدياً جامداً، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك، أخذاً من كلا القبيلين بنصيب، فتوفر له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، ولذلك سمي نفسه دين الفطرة، وعرف ذلك له خصومه اليوم"<sup>(60)</sup>.

أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به، خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم، وما سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم سُبْحَةَ الضحى قط، وإني لأسبِّحها<sup>(61)</sup>، نلاحظ قول السيدة عائشة رضي الله عنها: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لرافته بالناس ورحمته بهم، يحرص على عدم إيقاعهم في العنت والمشقة، وهذه الصورة من صور وسطية هذا الدين؛ فالأصل أن نبين للناس قولاً وعملاً ما يعكس هذه الوسطية وهذه الرحمة التي تعد من أبرز صفات هذا الدين، وأبرز صفات نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، ومن الأدلة على رحمة هذا الدين ووسطيته أنه لا يعاقب المذنب مباشرة، ولكن يعطيه الفرصة للتراجع والتوبة كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

"أَطْلُقُوا ثَمَامَةً" فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدَكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَّوْتُ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْدَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم<sup>(55)</sup>، لقد قاتل عليه الصلاة والسلام من أجل الحق ونصرته ونصرة أهله، فلما انتصر على الأعداء أقام العدل، ونشر الرحمة، وعفا وغفر كما فعل مع أهل مكة وهم الذين آذوه، فلما تمكن منهم رفض كلام سعد بن عبادة رضي الله عنه حين قال: اليوم يوم الملحمة، أخرج البخاري بسنده من حديث العباس رضي الله عنه... حَتَّى أَقْبَلْتُ كَتِيبَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هُوَ لَاءُ الْأَنْصَارِ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبْدًا يَوْمَ الذَّمَّارِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقْلُ الْكِتَابِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: "مَا قَالَ؟" قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: "كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعْظَمُ اللهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ..."<sup>(56)</sup>، فتأمل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف رد على كلام سعد وسحب الراية منه، حين رآه يحمل رغبة في الانتقام.

كما أخرج البخاري من حديث عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ: أَحَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَتْ: أَخْوَكُ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَانِعٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَفُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَفُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: فَمِ الْآنَ، قَالَ: فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا هَلْكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَ سَلْمَانُ"<sup>(57)</sup>.

أخرج مسلم بسنده من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَإِنَّ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

أخرج الإمام البخاري بسنده من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه: "أن أعرابياً بال في المسجد، فقام إليه بعض القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه، ولا تترموه"<sup>(62)</sup>، قال: فلما فرغ، دعا بدلو من ماء، فصبه عليه"<sup>(63)</sup>. في هذا الحديث تطبيق عملي لمفهوم الوسطية من قبل النبي ﷺ، فليس هناك أكبر جرماً وأعظم ذنباً من البول في المسجد؛ كما دل على ذلك ردود أفعال الصحابة، ولكن النبي ﷺ وهو معلم البشرية يوضح للصحابة كيفية التعامل مع مثل هذه المواقف، بقوله لهم (لا تترموه) أي لا تقطعوا عليه بوله، وهذا نهى لهم عن استخدام الغلظة والشدة بحق ذلك الأعرابي؛ لأن ذلك سيفره من هذا الدين، وهذه هي الوسطية بعينها، فلا إفراط ولا تفريط، فالنبي ﷺ أخذ بعين الاعتبار جهل ذلك الأعرابي، وعدم معرفته بحرمة المسجد فعالج الموقف برحمة ولطف.

إن هذا الدين لا يدعو إلى العنف والغلظة، بل يدعو إلى الرفق والرحمة، وإن الصور التي نراها اليوم من قبل البعض بحيث يجرمون الغير، ويقتلونهم بدعوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تعكس الصورة الحقيقية لهذا الدين، بل تعكس الفهم السقيم الذي قاد إلى هذه الأفعال.

قال أبو داود: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، أَخْبَرَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، أَخْبَرَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عَمْرَانَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ الْمِصْرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: اخْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ دَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَنَيْمَمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا عَمْرُو صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْإِغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: من الآية 29] فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً"<sup>(64)</sup>، وأخرجه أحمد<sup>(65)</sup>، إن في إقرار النبي ﷺ لعمر بن العاص على ما فعله، لصورة واضحة على سعة هذا الدين، وأنه بريء من التشدد والغلو، ولقد رأينا كيف استشهد عمرو بن العاص لما فعله بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: من الآية 29]، يقول بدر الدين الزركشي: "قلو لم يجز التيمم إذا لأفضى إلى حرج ومشقة"<sup>(66)</sup>، وقال أبو يعلى الفراء: "والصحيح جواز التيمم للمريض، إذا خاف زيادة المرض"<sup>(67)</sup>، فالله رحيم بعباده، ولذلك جعل الأمر في التكاليف الشرعية واسع، وجاء الاختلاف بين العلماء رحمة لهذه الأمة، ولكن ضيق هذه الرحمة تشنج بعض الناس وإدعائهم احتكار الحقيقة.

يقول الدكتور طه جابر العلواني حول موضوع الاختلاف: "إن الاختلاف في وجهات النظر، وتقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطري طبيعي وله علاقة بالفروق الفردية إلى حد كبير، إذ يستحيل بناء الحياة، وقيام شبكة العلاقات الإجتماعية بين الناس ذوي القدرات المتساوية والنمطية المتطابقة، إذ لا مجال - عندئذ - للتفاعل والإكتساب والعطاء! ذلك أنه من طبيعة الأعمال الذهنية والعملية اقتضاء مهارات وقدرات متفاوتة ومتباينة، وكأن حكمة الله تعالى اقتضت أن يبين الناس بفروقهم الفردية - سواء أكانت خلقية أم مكتسبة - وبين الأعمال في الحياة قواعد والنقاء، وكل ميسر لما خلق، وعلى ذلك فالناس مختلفون والمؤمنون درجات، فمنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد ومنهم السابق بالخيرات قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118].

لقد وصلت حدة الاختلاف إلى مرحلة أصبح المشرك معها يأمن على نفسه عند بعض الفرق الإسلامية التي ترى أنها على الحق المحض أكثر من المسلم المخالف لها بوجه النظر والاجتهاد في مسائل فرعية وجزئية، حيث أصبح لا سبيل معها للخلاص من الأذى والعذاب إلا بإظهار صفة الشرك!!<sup>(68)</sup>.

إن هذا الكلام المانع للدكتور العلواني يبين خطر الاختلاف وأثره في تفرق الأمة وتشتتها شيعاً، حيث كانت الأمة في زمن النبي ﷺ على طريق واحد، يقول الاسفرائيني: "إعلم أن المسلمين وقت النبي ﷺ وبعد وفاته كانوا على طريق واحدة، لم يكن بينهم خلاف ظاهر، ومن كان بينهم من المخالفين المناققين، ما كان يتمكن من إظهار ما كان يسر من أخباره"<sup>(69)</sup>، وإن الاختلاف المذموم الذي يرى صاحبه أنه يحتكر الحقيقة يضاد الوسطية ويخالفها تمام المخالفة، ويوقع في التطرف الذي نراه في أيامنا هذه، والتي قادت إلى فرقة الأمة وتشتتها واستباحة مقدراتها.

### المطلب الثالث: التركيز على الاشارات العلمية في الحديث النبوي عند خطاب غير المسلمين

إن من فن خطاب غير المسلمين دعوتهم بالحجة العلمية التي يؤمنون بها؛ لبيان صدق ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - وترغيبهم في الإسلام من خلال ذلك، وقد جاءت الأحاديث النبوية حافلة بالإشارات العلمية التي تثبت أن ما جاء به النبي ﷺ هو من الوحي الإلهي وليس من عند نفسه وبخاصة أن النبي ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب، ونشأ في بيئة أمية؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِبِيَمِينِكَ إِذَا لَازَيْتََابَ الْمُبْتَلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]، جاء في كتاب موسوعة العلم والإيمان "قلو إن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة لكانت فرصة لا تعوض للناكرين الجاحدين

أكثر تعرضاً للزكام من غيره وتجف لثته، وإذا جفت تراجعت وترجع اللثة عن الإنسان مرض العصر، أضف إلى أن الشخير الذي لا يحتمل سببه هو التنفس من الفم.

إذا النوم على الظهر أو البطن ليس صحيحاً، بقي النوم على الشق الأيسر؛ فإن الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة، فإذا نام الإنسان على الشق الأيسر استغرق هضم الطعام من خمس إلى ثمان ساعات؛ لأن الرئة اليمنى وهي الكبيرة- تضغط على القلب، والكبد- وهو أكبر الأعضاء- يبقى معلقاً قلقاً، أما إذا نام الإنسان على شقه الأيمن والرئة اليسرى أصغر وأخف، والكبد وهو أكبر أعضاء الجسم مستقر في الجسد على جهة الأرض؛ فإن الهضم يتم بسرعة، قال بعضهم: النوم على الظهر نومة الأمراء، والنوم على البطن نومة الشياطين، والنوم على الشق الأيسر نومة الأغنياء، فإنهم بكثرة أكلهم ينامون على الشق الأيسر كي يستريحوا، أما النوم على الشق الأيمن فهو نوم العلماء<sup>(72)</sup>.

إذا هكذا يؤيد العلم الحديث ما أمر به النبي ﷺ أمته من النوم على الشق الأيمن، وقد تبين لنا عظم الفوائد المترتبة من النوم على الشق الأيمن، ويمثل هذه الإشارات العلمية ناخبط غير المسلمين، مدللين على عدم تناقض صحيح المنقول مع صريح المعقول، وعلى عظمة ما جاء به النبي ﷺ وأنه من عند الله؛ ولذلك نجد الآيات في القرآن الكريم، تولى الجانب العلمي والنظر في الآيات الكونية اهتماماً كبيراً يقول الله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 20-21].

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وتنفؤ الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب<sup>(73)</sup>.

وأخرجه أبو داود<sup>(74)</sup> والترمذي<sup>(75)</sup>، والنسائي<sup>(76)</sup> وابن ماجه<sup>(77)</sup>.

وسنتكلم عن الإشارة العلمية في سنة الختان، يقول الدكتور صالح رضا: "نشرت المجلة الطبية البريطانية مقالاً في عام 1987. جاء فيه: "إن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود، وفي البلدان الإسلامية، حيث يجري الختان أثناء فترة الطفولة، وأثبتت الإحصائيات الطبية أن سرطان القضيب عند اليهود لم يشاهد إلا في تسعة مرضى فقط في العالم كله".

قال ولا أقول إن الختان يمنع أو يخفف كثيراً من هذه الالتهابات التي ذكرت فحسب، وإنما هناك أمراض لا يفيد فيها إلا الختان، مثل: تضيق القلفة الخلق، أو الالتهابي الأمامي

للحق للطعن بالقول بأن القرآن من إنشائه وصنعه، أو على الأقل فإن ما عرفه الرسول ﷺ يكون قراءة من كتب آخرين، ومن هنا كانت حكمة الله عز وجل في أن يكون خاتم المرسلين لا يقرأ ولا يكتب ليبقى الاحتمال الصحيح، وهو أن ما جاء به من قرآن إنما هو من لدن عليم خبير، هو الخالق العظيم سبحانه وتعالى<sup>(70)</sup>.

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ للبخاري- من حديث البراء بن عازب ؓ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِذَا أُتِيَتْ مَضْجَعُكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوعَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ اسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَمْنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مَتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ"<sup>(71)</sup>، في هذا الحديث نجد النبي ﷺ يأمر البراء بالنوم على الشق الأيمن، ولنستمع إلى العلم الحديث ماذا يحدثنا عن النوم على الشق الأيمن، يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: "حينما يأوي الإنسان إلى فراشه ليراقب نفسه كيف ينام، بعض الناس ينامون على بطونهم، وبعضهم ينام على ظهره، وبعضهم ينام على شقه الأيمن، وبعضهم ينام على شقه الأيسر، فالذين ينامون على بطونهم يشعرون بضيق في التنفس؛ لأن ثقل الظهر والهيكلة العظمي يقع على الرئتين، إضافة إلى أن هذه النومة غير لائقة.

أما الذين ينامون على ظهورهم فإنهم يعطلون جهازاً من أدق الأجهزة، وهو جهاز التسخين والتصفية، ففي الأنف سطوح متداخلة، فيها شرايين ذوات عضلات، إذا توسعت العضلات جاءت كمية كبيرة من الدم، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة على نحو حلزوني، ولامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الإنف بفعل عضلات الشرايين عندئذ يسخن الهواء، ويصل إلى أول القصبة بدرجة 38، ولو كان قبل دخوله الأنف بدرجة الصفر، أضف إلى أن هذه السطوح فيها مادة لزجة، فإي غبار، وأي هباب، وأي جسم، أي شيء يمكن أن يعلق بها، ولو تصورنا أن شيئاً ما استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها، أو أن يعلق عليها، فهناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة، وهذه الأشياء العالقة في الهواء إنه أرقى جهاز تسخين، وأرقى جهاز تصفية من أجل أن يصل الهواء إلى الرغام نقياً، دافئاً، نظيفاً، مصفى.

إذا نام الإنسان على ظهره وتنفس من فمه فكانه عطل هذه الأجهزة البالغة التعقيد، ولذا يرى المرء أنفه عند البرد الشديد أحمر قانياً، وإذا تنفس الإنسان من فمه ماذا يحدث؟ سيكون

الناس أن يصلوا إليها في عصور سابقة دون هذه الأدوات المتقدمة المتطورة.

وكان من جملة ما أجري من بحوث حول علاقة التراب بداء الكلب، فالكلب مرض من الأمراض التي تكون في لعاب الكلب، وتنتقل منه إلى الإنسان، وقد يكون الحيوان حاملاً لهذا الداء وإن لم تظهر عليه علامات الإصابة به، ومثله مثل أي حيوان، أو أي حي ينقل جراثيم مرض دون أن يصاب بذلك المرض.

ذلك البحث أجري في أسبانيا منذ زمن، كما أجراه أحد الأطباء الباكستانيين قريباً، حيث وجد أن داء الكلب، وجراثيمه مهما غسلت بالماء فإن الماء لا يذهب بها، فإذا مسحت بالتراب، فإن التراب يذهب بها ولا يبقى في الإناء أثراً لها، وكذا إذا كان الكلب يحمل جراثيم أمراض أخرى، وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به، وأمر المسلمين أن يتخذوا وقاية لهم من الإصابة بالأمراض سبفاً علمياً لا مثيل له في عالم الطب الوقائي<sup>(85)</sup>.

#### الخاتمة

من خلال ما قُدم في هذه الدراسة، نلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. ضرورة مخاطبة غير المسلمين وفق ما تقتضيه عقولهم وأحوالهم، وأهمية معاملتهم بالحكمة والموعظة الحسنة.
2. أهمية الواقعية في خطاب غير المسلمين، عن طريق التفاعل مع الواقع، والإقتداء بالنبي ﷺ في دعوة هؤلاء بالتالي هي أحسن.
3. بيان مقاصد الشريعة من خلال الاستدلال بالنصوص الشرعية، وتوظيف ذلك في واقعنا، وأثر ذلك على المدعوين.
4. تأكيد صلاحية الخطاب النبوي لكل زمان ومكان، وذلك بالتركيز على النصوص التي تشتمل على الإعجاز، التي لها الأثر الأكبر على غير المسلمين.

ص178.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ)، صحيح البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار ابن الهيثم، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ص353، رقم الحديث (3009)، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت:261هـ)، صحيح مسلم، طبعة جديدة ومصححة وملونة في مجلد

والخلفي، وبعض أنواع حصر البول المتكرر بسبب القلفة، ويقول: نوكد هنا أن ختان الزوج له دور كبير في وقاية الزوجة من أكثر أمراض النساء الالتهابية<sup>(78)</sup>.

إذاً النبي الكريم ﷺ يخبرنا وقبل 1400 سنة عن أهمية الختان دون أن يتطرق لشيء من هذه الحقائق العلمية التي ذكرناها آنفاً، ليأتي العلم الحديث وبعد هذه المدة الطويلة ليخبرنا عن الفائدة الطبية للختان من الناحية العلمية المحضة، وليؤكد الأطباء الغربيين الذين لا علاقة لهم بالإسلام أهمية الختان وأثره على صحة الرجل والمرأة في آن واحد، فحق لنا أن نفخر بهذا الدين وبهذا النبي ﷺ، وأن نباهي به الأمم، وأن نطبق قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: من الآية 54].

أخرج البخاري ومسلم بسنديهما- واللفظ لمسلم- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طَهْرُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَعَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَاهُنَّ بِالتَّرَابِ"<sup>(79)</sup>، وأخرجه مسلم عن ابن المُغفَل- بلفظ آخر-، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... "إِذَا وَلَعَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَعَقْرُوهُ التَّامَّةَ فِي التَّرَابِ"<sup>(80)</sup>.

وأخرجه أبو داود<sup>(81)</sup>، والترمذي<sup>(82)</sup>، والنسائي<sup>(83)</sup>، وابن ماجه<sup>(84)</sup>.

جاء في كتاب الاعجاز العلمي في السنة النبوية: "لقد وقف علماء الفقه والحديث في هذا الحديث موقف المستغرب، إذ كيف يكون التراب مطهراً؟ وهو يجعل الشيء الذي يلامسه متسخاً لا نظيفاً، ووقف أكثرهم من هذا الحديث لأنه أمر تعبدي لا يناقش فيه، ولا يسأل عن علة هذا المسح بالتراب، فنحن نسمع ونطيع، ونغسله بالتراب، ولو لم نعرف العلة في ذلك، اتباعاً لظاهر لفظ الحديث.

وجاء القرن العشرين بما يحمله من دراسات وبحوث وأدوات متقدمة تيسر البحث، وتظهر أموراً كان من الصعب على

#### الهوامش

- (1) حمر النعم: هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. النووي، محي الدين يحيى بن شرف (ت:676هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1404هـ-1984م، ج15،

- واحد، القاهرة، دار ابن الهيثم، طبعة 1422هـ-2001م، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ص618، رقم الحديث (2406).
- (3) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ص196، رقم الحديث (1741)، وصحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ص436، رقم الحديث (1679).
- (4) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ص300، رقم الحديث (1218).
- (5) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ص680، رقم الحديث (2674).
- (6) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ص345، رقم الحديث (2937)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم... ودوس وطيء، ص646، رقم الحديث (2524).
- (7) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ص313، رقم الحديث (2697)، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ص448، رقم الحديث (1718).
- (8) الدمشقي، إسماعيل بن كثير (ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الجيل، ج3، ص296-297.
- (9) القدومي، معين، الإسلام والمسلمين في أمريكا، غيداء للدعاية والإعلان، أمية للتسويق، ط3، 1995، ص6.
- (10) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب، ص604، رقم الحديث (4971)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ص66، رقم الحديث (208).
- (11) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ص65، رقم الحديث (204).
- (12) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، الهند، الجامعة السلفية، 1411هـ-1991م، ص93.
- (13) زينو، محمد بن جميل، التحذير من فتنة الكفر والتكفير، جدة، مطبعة دار المجمع العلمي، ط2، ص18.
- (14) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة، ص500، رقم الحديث (4269). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ص34، رقم الحديث (96).
- (15) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت:852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله-، الرياض، دار السلام، ودمشق، دار الفيحاء، الطبعة الثالثة، 1421هـ-2000م، ج12، ص243.
- (16) عبد المنان، عكاشة، الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله، دار الروضة للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ-2002م، ص7-8.
- (17) الأريسيين: الأتباع الفلاحين وسائر الرعية، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج8، ص278، بتصرف.
- (18) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب رُفُلُ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أُنْ لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، ص533، رقم الحديث (4553)، وهو جزء من حديث طويل، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، ص462، رقم الحديث (1773).
- (19) صحيح مسلم بشرح النووي، ج12، ص108.
- (20) الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن، مختصر كتاب إظهار الحق، تدقيق محمد أحمد ملكاوي، الرياض، السعودية، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1416هـ-1995م، ص207.
- (21) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ص463، رقم الحديث (1774).
- (22) صحيح مسلم بشرح النووي، ج12، ص113.
- (23) سبق تخريجه في نفس الصفحة.
- (24) الحلواني، محمد أمين شاكر، الشيخ عبد الوهاب طويلة، عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ص7-8.
- (25) انظر ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت:751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1399هـ-1979م، ج3، ص688-697.
- (26) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ص167، رقم الحديث (1458)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ص19، رقم الحديث (19).
- (27) البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط8، ص67-68.
- (28) السيوطي، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، 1993م، ج1، ص215.
- (29) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وما قدروا الله حق قدره، ص579، رقم الحديث (4811)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص708، رقم الحديث (2786).
- (30) إلهي، فضل، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، الرياض، مؤسسة الجريسي، ط1، 1419هـ-1998م، ص13-14.

- (31) الهلالي، أبي أسامة سليم بن عبيد، بهجة الناظرية شرح رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، ج2، ص22.
- (32) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، ص26، رقم الحديث (125)، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، وقوله تعالى (ويستلونك عن الروح)، ص710، رقم الحديث (2794).
- (33) الحلواني، عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ص10.
- (34) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ص154، رقم الحديث (1356).
- (35) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، ص168.
- (36) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ص167، رقم الحديث (1458)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ص19، رقم الحديث (19).
- (37) الوكيل، محمد، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، هيرندن، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416هـ-1997م، ص61-62، بتصرف.
- (38) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب إذا العشاء فلا يعجل عن عشاءه، ص658، رقم الحديث (5463)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال، وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين، ص134، رقم الحديث (557).
- (39) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت: 279هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء، ج2، ص184، رقم الحديث (353)، وقال: حديث أنس حديث حسن صحيح.
- (40) النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، (ت: 303هـ)، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، اعتنى به ورقمه وصنع فهرسه عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة المفهرسة، 1414هـ-1994م، كتاب الآذان، باب العذر في ترك الجماعة، ج2، ص111، رقم الحديث (853).
- (41) القرويني، محمد بن يزيد بن ماجة، (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه ورقم كُتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب إذا حضرت الصلاة ووضع العشاء، ج1، ص301، رقم الحديث (933).
- (42) صحيح مسلم بشرح النووي، ج5، ص46.
- (43) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، ص77، رقم الحديث (628)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ص161، رقم الحديث (674).
- (44) صحيح البخاري، كتاب العلم، ص19.
- (45) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ص161، رقم الحديث (673)، والسجستاني، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، بيروت، دار الجيل، 1412هـ-1992م، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج1، ص156، رقم الحديث (582)، والجامع الصحيح وهو سنن الترمذي كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج1، ص458، رقم الحديث (235)، وسنن النسائي، كتاب الإمامة، باب من أحق بالإمامة، ج2، ص76، رقم الحديث (780)، وسنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من أحق بالإمامة، ج1، ص313، رقم الحديث (980).
- (46) العلواني، طه جاب، أدب الاختلاف في الإسلام، الدار العربية للعلوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط7، 1426هـ-2005م، ص15.
- (47) الوكيل، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ص183-187، بتصرف.
- (48) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، ص109، رقم الحديث (951).
- (49) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج2، ص575.
- (50) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: 8]، ص707، رقم الحديث (5970).
- (51) الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ)، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م، ج2، ص8-9، بتصرف.
- (52) الجبائي، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق فتحي أنور الدابولي، القاهرة، دار السحابة للتراث، ط1، 1992م، ج1، ص113.
- (53) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي ﷺ: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، ص15، رقم الحديث (39).
- (54) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص615، رقم الحديث (5063).
- (55) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ص512، رقم الحديث (4372)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه، ص459، رقم الحديث (1764).
- (56) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ ﷺ

- الرَّايَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ؟، ص501، رقم الحديث (4280).
- (57) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، ص722، رقم الحديث (6139).
- (58) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، ص22، رقم الحديث (28).
- (59) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، ص23، رقم الحديث (32).
- (60) عمارة، محمد، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، بيروت، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1423هـ-2003م، ص21-22.
- (61) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ص130، رقم الحديث (1128)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان، ص172، رقم الحديث (718).
- (62) لاتررموه: لا تقطعوا عليه بوله، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج10، ص552.
- (63) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ص712، رقم الحديث (6025).
- (64) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد يئيم، ج1، ص530، رقم الحديث (334)، وإسناده حسن، فيه يحيى بن أيوب صدوق ربما أخطأ.
- (65) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد المروزي، (ت:241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1429هـ-2008م، ج29، ص346، رقم الحديث (17812)، وقال المحقق: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف، فيه عبد الله بن لهيعة وهو سيء الحفظ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، قلت: ليس في سند أبي داود ابن لهيعة.
- (66) الزركشي، بدر الدين، شرح مختصر الخرقى، مكتبة العبيكان، السعودية، ج1، ص323.
- (67) أبو يعلى الفراء، المسائل الفقهية، مكتبة المعارف، الرياض، 1985م، ج1، ص92.
- (68) العلواني، طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام، الدار العربية للعلوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط7، 1426هـ-2005م، ص11-13.
- (69) الاسفرائيني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت، عالم
- الكتب، ط1، 1983م، ج1، ص19.
- (70) أحمد زكي، سيد رمضان، موسوعة العلم والإيمان، القاهرة، دار عالم الكتب، ط1، 2000م، ص286.
- (71) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، ص38، رقم الحديث (247)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ص687، رقم الحديث (2710).
- (72) النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، دمشق، دار المكتبي، ط2، 1426هـ-2005م، ص107-108.
- (73) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تقليد الأظافر، ص701، رقم الحديث (5891)، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ص75، رقم الحديث (257).
- (74) سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في أخذ الشارب، ج4، ص82، رقم الحديث (4198).
- (75) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في تقليد الأظفار، ج5، ص91، رقم الحديث (2905)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
- (76) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب ذكر الفطرة والختان، ج1، ص13، رقم الحديث (9).
- (77) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الفطرة، ج1، ص107، رقم الحديث (292).
- (78) رضا، صالح بن أحمد، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م، ج1، ص80-83.
- (79) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، ص31، رقم الحديث (172).
- (80) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، ص79، رقم الحديث (279).
- (81) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء بسؤر الكلب، ج1، ص19، رقم الحديث (73).
- (82) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الكلب، ج1، ص151، رقم (91).
- (83) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الأمر بإراقة ما في الإناء إذا ولغ فيه الكلب، ج1، ص53، رقم (66).
- (84) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب غسل الإناء من ولوغ الكلب، ج1، ص130، رقم (364).
- (85) رضا، صالح أحمد، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ج2، ص841.



## المصادر والمراجع

- دار المجمع العلمي، ط2.
- السجستاني، (275هـ)، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، دار الجيل، 1442هـ - 1992م.
- السيوطي، (911 هـ)، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر، 1993م.
- الطبري، (310هـ)، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1412هـ - 1992م.
- عبدالمنان، عكاشة، الأمر بالمعروف والدعوة إلى الله، دار الروضة، ط1، 1423هـ - 2002م.
- العلاوي، طه جابر، أدب الاختلاف في الإسلام، الدار العربية للعلوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط7، 1426هـ - 2005م.
- عمارة، محمد، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، بيروت، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1423هـ - 2003م.
- الفراء، أبو يعلى، المسائل الفقهية، الرياض، مكتبة المعارف، 1985م.
- القديمي، معين، الإسلام والمسلمين في أمريكا، أمية للتسويق، ط3، 1995م.
- القروييني، (273هـ)، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، بلا طبعة وتاريخ.
- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، الهند، الجامعة السلفية، 1411هـ - 1991م.
- الناقلي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الانسان، دمشق، دار المكتبي، ط2، 1426هـ - 2005م.
- النسائي (303هـ)، أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي، إعتنى به، عبد الفتاح أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1414هـ - 1994م.
- النووي (676هـ)، محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1404هـ - 1984م.
- النيسابوري، (261هـ)، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، القاهرة، دار ابن الهيثم، ط1، 1422هـ - 2001م.
- الهلاي، سليم بن عبيد، بهجت الناظرين شرح رياض الصالحين، دار ابن الجوزي، بلا طبعة وتاريخ.
- الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن، مختصر كتاب إظهار الحق، الرياض، السعودية، بلا طبعة، 1416هـ - 1995م.
- الوكيلي، محمد، فقه الأولويات دراسة في الضوابط، فيرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1416هـ - 1997م.
- ابن حجر (852هـ)، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، إعتنى بها محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، دار السلام، ط3، 1421هـ - 2000م.
- ابن حنبل (241هـ)، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1429هـ - 2008م.
- ابن قيم (751هـ) شمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1399هـ - 1979م.
- أحمد زكي، وسيد رمضان، موسوعة العلم والإيمان، القاهرة، دار عالم الكتب، بلا طبعة، 2000م.
- الاسفرائيني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، تحقيق كمال الحوت، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1983م.
- إلهي، فضل، مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، الرياض، مؤسسة الجريسي، ط1، 1419هـ - 1998م.
- البخاري (256هـ)، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار ابن الهيثم، ط1، 1425هـ - 2004م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط8.
- الترمذي، (279هـ)، محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بلا طبعة وتاريخ.
- الجرجاني، (816هـ)، علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1983م.
- الجبائي، التبيان في تفسير غريب القرآن، القاهرة، دار السحابة للتراث، ط1، 1992م.
- الحلواني، محمد أمين شاكر، عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، بلا طبعة وتاريخ.
- الدمشقي (774هـ)، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الجيل، بلا طبعة وتاريخ.
- رضا، صالح بن أحمد، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، مكتبة العبيثان، ط1، 1421هـ - 2001م.
- الزركشي، بدر الدين، شرح مختصر الخرق، مكتبة العبيكان، السعودية، بلا طبعة وتاريخ.
- زينو، محمد بن جميل، التحذير من فتنة الكفر والتكفير، جدة، مطبعة

## The Speech to Non-Muslims according to Prophet Mohammed Way

*Baker M. Bani Irshied, Ali M. Alkelani\**

### ABSTRACT

This study dealt with ways of speech to non-muslims, through the ways of presentation of models of the speech of the prophet Mohammed addressing the people of the book, his letters to the kings, with an priorities in the speech, and highlight the indication of prophet interest speech.

**Keywords:** Speech to Non-Muslims, Prophet Mohammed.

---

\* Faculty of Sharia, Al Al-Bayt University, Jordan. Received on 7/1/2016 and Accepted for Publication on 25/5/2016.